الإنسان الذى كرس حياته لربنا يقول له الله "يَا ابْنِى أَعْطِنِى قَلْبَكَ وَلْتُلاَحِظْ عَيْنَاكَ طُرُقِى" (أم 23: 26) فأول شىء أن يكون قلب الإنسان لربنا وليس لأحد آخر, وقالت الوصية الأولى "فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ" (تث 6: 5) والثانية مثلها "تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (لا 19: 18). لكن الوصية الأولى والعظمى تحب الرب إلهك من كل قلبك؛ فلا يشترك أى أحد مع ربنا فى هذا الحب, بمعنى أن محبة ربنا يجب أن تكون فوق كل اعتبار. الوصية الثانية "تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ", طبعًا لوحى العهد كانا عبارة عن أربع وصايا تخص الله والست وصايا الأخرى تخص القريب ولكن اللوح الأول وحده واللوح الثانى وحده, ماذا يعنى هذا؟ يعنى أنهما مكملان لبعضهما, أربعة وستة يساوى عشرة (عدد الكمال). بالفعل الوصيتان مكملتان لبعضهما؛ لكن وجود كل منهما فى لوح على حدى يعنى أن محبة ربنا يجب أن تكون لها حرارة فريدة من نوعها لا يتداخل معها أى شىء آخر؛ ولذلك قال السيد المسيح "مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً أَكْثَرَ مِنِّى فَلاَ يَسْتَحِقُّنِى وَمَنْ أَحَبَّ ابْناً أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّى فَلاَ يَسْتَحِقُّنِى" (مت10: 37), **محبة ربنا هى التى تجعل الإنسان يتحرر من كل شىء فى الوجود ويذوب فى هذه المحبة؛ فلا يعطله شىء إطلاقًا عن محبة السيد المسيح**.

بعدما يبدأ الإنسان فى انطلاقه لمحبة ربنا (المحبة التى لا يشترك معه فيها أى أحد نهائيًا) يبدأ بعدها فى محبة الناس محبة سليمة لأن "اللهُ مَحَبَّةٌ" (1يو 4: 16) فالله يحب الخليقة وهو محب البشر. لكن الغريب أن محبة القريب (محبة الناس) هى دليل على أن محبة الشخص لربنا هى محبة صادقة, كقول الكتاب المقدس "إِنْ قَالَ أَحَدٌ: إِنِّى أُحِبُّ اللهَ وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. **لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِى أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِى لَمْ يُبْصِرْهُ؟**" (1يو 4: 20), أى أن محبة القريب هى العلامة على محبة الإنسان لله, لكن الذى يحب القريب أكثر من الله يسير فى طريق غير سليم. ينبغى أن يحب الإنسان الله جدًا جدًا, ثم تظهر علامة محبته لله فى محبته للناس محبة طاهرة مقدسة "فَأَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ" (1بط 1: 22).. حتى مجرد أن يصلى من أجلهم. ليست محبته للناس بمعنى أنه يجب أن يجلس يثرثر معهم. من الممكن أن محبته تحثه على أن يصلى من أجل خلاص العالم كله, **إن كان الراهب يعيش فى الدير فوسيلته الأساسية فى التعبير عن محبته للخليقة, هى أن يصلى من أجل خلاص العالم** عمومًا.

لا يوجد تعارض بين محبة ربنا والقريب؛ بل الثانية دليل على الأولى, لكن الأولى لا يصح لأحد أن يشترك فيها. لذلك كما أعطى الله لموسى النبى الوصايا فى لوحين، الوصايا الخاصة بالله فى لوح وحده والوصايا الخاصة بالقريب فى لوح وحده, كذلك أيضًا السيد المسيح قال "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (مت 22: 37- 39) والثانية مثلها"تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (لا 19: 18). أى أن السيد المسيح جعلهما وصيتين ولم يدمجهما فى وصية واحدة؛ لكى يُفهِم الناس أنه لا يستطيع أحد الاشتراك فى محبة الله التى فى القلب.

كمثال لذلك أيضًا محبة الآب والابن لبعضهما.. هذه محبة أزلية فريدة لكن هذا لا يمنع قوله "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ" (يو3: 16). محبة الآب للابن والابن للآب مسألة تفوق الخيال والتصور والوصف؛ فهى محبة فريدة لا يمكن للخليقة أن تتصورها أو تصفها, لكن الحب الذى بين الآب والابن والروح القدس لا يمنع أن يحبوا الخليقة والعالم بقوة وبصورة قال عنها السيد المسيح "لأَنَّهُ **هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ** حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَى لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ"

السيد المسيح تكلم فى هذه النقطة وقال للآب فى صلاته الوداعية "أَحْبَبْتَهُمْ **كَمَا أَحْبَبْتَنِى**" (يو17: 23) كلمة "كما أحببتنى" تعنى مثلما أحببتنى تحبهم, لكن ليس معناها أن هذا الحب متساوٍ؛ لأنه من غير المعقول أن يحب الابن غير المحدود بنفس الدرجة التى يحب بها إنسانًا محدودًا أو كائنات محدودة**.**

على الرغم من أن محبتنا للقريب لها حدود, فهذا لا يعنى أن يكون الشخص بخيلاً فى محبته؛ لأن الكتاب المقدس يقول "تُحِبُّ قَرِيبَكَ **كَنَفْسِكَ**" (لا 19: 18) فأقل درجة أن تحبه مثل نفسك. وأيضًا كقول السيد المسيح "لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" (يو 15: 13) ووصيته "هَذِهِ هِى وَصِيَّتِى أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ" (يو 15: 12).. محبة فيها بذل وتضحية.

خلاصة الكلام: **إن محبة ربنا يجب أن تفوق كل حب آخر**؛ فهى نفسها التى تجعلنا نستطيع أن نحب الناس ونخدمهم ونصلى من أجلهم أو يكون لنا دور فعال فى حياتهم؛ فننشر الحب بينهم, لهذا قال معلمنا يوحنا الرسول "نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدِ انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ لأَنَّنَا نُحِبُّ الإِخْوَةَ. مَنْ لاَ يُحِبَّ أَخَاهُ يَبْقَ فِى الْمَوْتِ" (1يو 3: 14). بهذا نعرف أننا قد ولدنا من الله؛ لو كنا نحب الإخوة وهذا شىء طبيعى جدًا, **فالذى يتحد بالله الذى هو المحبة؛ لابد أن يكون عنده طاقة حب للآخرين لا تتوقف**. مثلما يقول معلمنا بولس الرسول عن المحبة إنها "تَحْتَمِلُ كُلَّ شَىء وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَىء وَتَرْجُو كُلَّ شَىء وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ" (1كو13: 7) فلا ينبغى أن يقول أحد: لقد أحببت بما فيه الكفاية, بمعنى لا يوجد عندى طاقة أخرى للحب... استنفذت كل طاقة الحب التى عندى.

فلا ينبغى أن تتوقف محبتنا للقريب بل لابد أن تستمر؛ رغم إنها محدودة بحكم أن هذا القريب وجوده محدود، وظروفه محدودة... حتى إذا أعطى الإنسان مثلاً كل أمواله, فهى أيضًا محدودة, أى هو شىء باستمرار له حدود وهذا ليس بسبب قصور الحب ولكن بسبب أن الخليقة محدودة؛ بينما الله غير محدود؛ لذلك تظل محبة الله تفوق كل الوصف كما يقول عنه القديس إغريغريوس الناطق بالإلهيات [وليس شىء من النطق يستطيع أن يحد لجة محبتك للبشر].

ولربنا المجد إلى الأبد

آمين.